للتلطف والقهر باعطاء قوم نصرا ومالا وسلبهما من آخرين الرحمن بجعل الانفال له تعميما لرحمته
بمصيبة المباشرين للحرب وغيرهم الرحيم بامرهم بالتقوى واصلاح ذات البين فيما روى
انه عليه السلام قال يوم بدر من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا فتسارع اليه الشبان
فقتلوا سبعين واسروا سبعين وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما فتح عليهم قام الشبان
يطلبون نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ كنا لكم ردأ وفيه تتجاوزون اليها فلا تستاثروا
به علينا فاعرض رسول الله صلعم عن الفريقين فنزلت يسالونك عن الانفال فقسمها رسول الله صلعم
بالسوية طارای وعده مبطلا لحق القائمين الذين جعله الله لهم وقال الشافعي لا يلزم للامام
الوفاء بما وعد والنفل مال يشرطه الامام او نائبه لمن يتعاطى فعلا مخطرا كتقدمه طليعة او
تهجمه على قلعة او دلالة على طريق بلد والمعنى ان اصحابك الذين حقهم طلب الاجر الاخروي بالجهاد
ويتنازعون في هذا المال حتى تحاكموا اليك يسالونك من يستحقه قل الانفال ليست في مقابلة
الجهاد وانما مقابله الاجر الاخروي وهذا زايدة عليه خرجت عن ملك المشركين فصارت ملكا
خالصا لله ورسوله خليفة فهي في يدي الرسول يعطيها باذنه من يشاء فاتقوا الله ان
تتصرفوا في ملكه بغير اذنه واصلحوا ذات بينكم اي حالة الوصلة الا ما نية بينكم فلا تقطعوها بما
ليس لكم واطيعوا الله ورسوله لو كانت لكم ان كنتم لله مؤمنين اي جارين على مقتضى
الايمان لا يحصل بدون التقوى التي هي مرجع الباقين فقال انما المؤمنون اي الجارون
على مقتضى الايمان هم الذين اذا ذكر الله اي حقه وجلت اي خافت من هتكه قلوبهم فيتبعها
ساير اعضائهم واذا تليت عليهم آياته الدالة على ما عنده لمن خاف هتك حرمته زادتهم
ايمانا اي طمانينة بما عنده فلا يوثرون عليه شيئا وكيف يوثرون عليه شيئا ولا يتوكلون
عليه بل على ربهم يتوكلون والمتوكلون عليه هم الذين يقيمون الصلوة بلا وسوسة وهي
اعظم اسباب التقرب الى الله ولدفع الوسوسة الناشئة من حب المال ومما رزقناهم
ينفقون في سبيلنا ايثارا لجنابنا عليه اولئك المؤثرون حب الله على حب ما سواه هم المؤمنون
حقا اي البالغون على مراتبه لهم درجات عند ربهم بدل درجات الاموال عند الخلق على
ان الاموال من اسباب المعاصي وهولاء طرحوهم عن جنبهم لهم مغفرة ولا يفوتهم الرزق
المطلوب من الاموال بل لهم رزق كريم يخدمهم به الملوك ومن دونهم لتقربهم الى الله بالصلوة
والقطع من محبة المال ثم اشار الى ان حصول تلك الدرجات والمغفرة والرزق الكريم لهم
مع كراهة فريق منهم القتال وفوات العير فقال كما اخرجك اي للمؤمنين حقا ما ذكر كما هو لك و
لاصحابك حين اخرجك ربك الذي رباك بالنبوة ليربيك بالنصر على وجه الاعجاز من بيتك اي من

المدينة

المدينة التي لا قتال فيها الى بدر للقتال بالحق اي بالوحي الموافق للحكمة باظهار المعجزة في نصر
من غير اهبة وان فريقا من المؤمنين الذين مقتضى ايمانهم امتثال امر الله وان لم يظهر
لهم فيه فايدة لكارهون لامتثال امره بالجهاد لعدم تاهبهم حتى انهم يجادلونك في
الحق بعد ما تبين انهم ينصرون فيه على خرق العادة كانما في التسيير اليه يساقون الى
الموت سوق الدواب الى الذبح وهم ينظرون الموت قبل الوصول الى مكانه وذلك
ان عير قريش فيها اربعون راكبا وفيهم ابو سفيان اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة
فاخبر جبرئيل رسول الله عليهما السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة
الرجال فلما خرجوا بلغهم الخبر فبعثوا الى مكة ضمضم بن عمرو فصرخ ببطن الوادي يا معشر
قريش هذه اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه الغوث الغوث فمضوا الى
بدر وكان عليه السلام بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل بعدة احدى الطائفتين فاستشار
عليه السلام اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انما خرجنا للعير فقال
ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فغضب عليه السلام فقال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك
حيث ما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك
بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد مدينة بالحبشة لجالدنا معك من دونه فقال عليه السلام له
خيرا ودعا له ثم قال عليه السلام اشيروا علي ايها الناس يريد الانصار القائلين له حين بايعوه
على العقبة انهم براء من كل ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصره الا على
عدو دهمه بالمدينة فقال سعد بن معاذ فكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قد امنا
بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على
السمع والطاعة لما امرت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك
ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان يلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله
يريك منا ما تقر به عينك ففرح رسول الله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا
فان الله وعدني الان احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم فهذه كراهتهم
للقتال واما كراهتهم لفوات العير ففي واذ يعدكم الله احدى الطائفتين العير والنفير انها
لكم وتودون اي تحبون ان العير لكونها غير ذات الشوكة اي الحدة مستعار من واحد الشوك
تكون لكم ويريد الله بجعل النفير لكم ان يحق الحق اي يثبت النبوة بكلماته من غير اهبة منك